رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 7- سورة الأنفال | من الأية 71 إلى 81

عبدالرحمن العجلان

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم. ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين - 00:00:00

ارميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم. ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين هذه الايات في سياق الحديث عن غزوة بدر الكبرى - 00:00:20

وقد تقدم لنا الكلام على الايات السابقة والان بعد ما انتهت الغزوة واعز الله رسوله والمؤمنين وخذل اعداءه رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين الى المدينة - 00:00:51

فصار بعض الصحابة رضوان الله عليهم يتحدث بعضهم يقول قتلت واسرت او يقول قتلنا واسرنا الله جل وعلا يؤدب عباده المؤمنين ويعلمهم نفوض جميع امورهم اليه وان يعلموا انه لا حول لهم ولا قوة - 00:01:26

ولا قدرة على قتال الكفار لولا ان الله جل وعلا قواهم على ذلك واقدرهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم الفاء هنا يعبر عنها علماء اللغة لانها فاء واقعة في جواب شرط مقدر - 00:02:03

تقديره ان ادعيتم قتلهم او ان زعمتم قتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لا قدرة لكم على قتلهم ولا قدرة لكم على الغلبة عليهم لانهم اكثر منكم عددا واكثر عدة - 00:02:40

ولكن الله جل وعلا هو الذي اقدركم على قتلهم وهو الذي قواكم عليه فلم تقتلوهم بحولكم وقوتكم ولكن الله بنصره لكم وتأييده اياكم بما امدكم به من القوة ومن الملائكة - 00:03:17

فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ولكن الله قتلهم لكن فيها قراءتان سبعيتان لكن تشديد لكن بالتخفيف وعلى كل قراءة تتغير حركة لفظ الجلالة - 00:03:50

ولكن الله لهم اسم الجلالة مع التشديد لكن ما لا يكون منصوب ولكن الله قتلهم محله من الاعراب لكن واسمها منصوب ولكن الله قتلهم وبالتخفيف ولكن الله قتلهم ولكن الله قتلهم - 00:04:40

تكون حينئذ لكن هذه لا عمل لها ملغاة ولفظ الجلالة مبتدا ولكن ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت وما رميت اذ رميت نسى جل وعلا الرمي واثبته لرسوله صلى الله عليه وسلم - 00:05:18

ما رميت اذ رميت هذا ثابت تقدم لنا الايات السابقة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كاد ان يتقابل الجيشان جيش الايمان بقيادته صلى الله عليه وسلم وجيش الكفر والضلال خال من القيادة - 00:05:56

ليس بقيادة شخص معين تضرع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ربه والح الحاحا شديدا واستنصر ربه ورفع يديه عليه الصلاة والسلام رفع اليدين والالحاح في الدعاء من اسباب الاجابة - 00:06:31

حتى سقط رداء النبي صلى الله عليه وسلم عن منكبه التزمه ابو بكر رضي الله عنه ورفع رداءه صلى الله عليه وسلم وقال كفاك مناشدتك ربك فان الله منجز لك وعدك. ما وعدك به - 00:07:01

او كما قال رضي الله عنه ثم جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال خذ حصبا وارمي بها القوم فاخذ عليه الصلاة والسلام

كفا من الحصبة ورمى بها - 00:07:26
جيش الكفر وقال شاهت الوجوه يعني قبحت لانها وجوه الكفر والضلال فهذه الرمية التي بينها الله جل وعلا في هذه الاية وما رميت اذ رميت الرسول صلى الله عليه وسلم حصل منه الفعل - 00:07:52
وهو رمي التراب في وجوه القوم لكن هل في استطاعة بشر ان يرمي كفا من التراب فيصيب الجيش كله الف مقاتل او في حدود الالف كل واحد منهم يأتيه نصيبه من هذا التراب - 00:08:23
فيصيب عينيه ومنخريه باذن الله جل وعلا هل باستطاعة مخلوق ان يفعل ذلك ان يوصل هذا الكف من التراب ان وصل الى واحد او اثنين او خمسة او عشرة ممكن - 00:08:54
لكن يصل الى الف مقاتل. وكل يأتيه نصيبه من هذا التراب هذا بقدرة الله جل وعلا الست الذي اوصلت التراب الى اعينهم ولكن الله جل وعلا هو الذي اوصلهم كالتراب - 00:09:13
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى الم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فيها التأديب للمؤمنين والتعليم والتوجيه واما قوله جل وعلا وما رميت اذ رميت وفيها اظهار معجزته صلى الله عليه وسلم - 00:09:45
وانه فعل فعله لم تكن في طوق البشر وانما هي معجزة صلى الله عليه وسلم ففي صدر الاية التوجيه والتعليم للمؤمنين وفيما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم اظهار المعجزة - 00:10:16
والكرامة كفا من تراب بيده الشريفة عليه الصلاة والسلام يصيب القوم كلهم حينما رمى وما رميت اذ رميت وما اوصلت التراب الى اعينهم او ما اصبت اعينهم اذ رميت الحفنة من التراب - 00:10:50
ولكن الله رمى هو الذي اوصلها اليهم فاشتغلوا باعينهم يعرفونها وانشغلوا عن المسلمين فاقبل عليهم المسلمون تولى الكفار الادبار وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فقتلوا منهم سبعين من صناديدهم واسر سبعين - 00:11:26
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا الله جل وعلا قادر على هزيمة الكفار بدون ان يحصل مقابلة بينهم وبين المسلمين قبل ان يتقابل المسلمون معهم - 00:12:08
قادر على هزيمتهم رجائهم على ادبارهم خائبين خاسرين بما يشاعه جل وعلا اما بالملائكة بما يلقيه من الرعب في قلوبهم او بالريح او باي جند من جند الله ولكن الله جل وعلا قابل بين المسلمين والكفار - 00:12:41
ليبلي المؤمنين بلاء حسنا هذه فائدة المقابلة والا فالله جل وعلا قادر على هزيمة الكفار بدون ان يخرج اليهم مسلم قادر على كل شيء ولكنه فعل ذلك يبلي المؤمنين منه بلاء حسنا - 00:13:10
يولي لفظة البلاء الامتحان والاختبار ويأتي الابتلاء والامتحان في الخير والنعمة كما يأتي الابتلاء والامتحان بالمصائب والشدائد والامراض ونحوها وهنا ما المراد المراد النعمة باجماع المفسرين وليبلي المؤمنين هنا هذا الابلا بالنعمة - 00:13:43
وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ليظهر نعمته على عباده المؤمنين بنصرهم على عدوهم وما غنموه من الغنيمة منهم وما كتبه لهم في الدار الاخرة من اجر الجهاد في سبيل الله - 00:14:30
فعلى ذلك جل وعلا قابل بين هؤلاء وهؤلاء في هذه الامور العظيمة وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا. ليظهر نعمته على عباده المؤمنين وهذه النعمة نعمة النصر ونعمة هزيمة الاعداء ونعمة الغنيمة التي غنموها منهم - 00:15:03
ونعمة ثواب الاخرة وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم فهو جل وعلا سميع بما يقوله المؤمنون سميع فيما يقوله الكفار تعاليم في احوال المؤمنين عليم باحوال الكفار - 00:15:39
تعاليم بمن يستحق النصر والتأييد عليم بمن يستحق الهزيمة والخذلان فهو جل وعلا يضع الاشياء مواضعها وفي هذه اثبات صفة العلم لله جل وعلا واثبات صفة السمع لله جل وعلا - 00:16:19
وهو سمع يليق بجلاله فلا يشبه بسمع المخلوقين ولا يشبه علمه بعلم المخلوقين وانما علم المخلوق على قدره وسمع المخلوق على قدره وعلم الله جل وعلا وسمعه على قدره سبحانه وتعالى - 00:16:56

ان الله سميع يسمع جل وعلا ويرى النملة السوداء على الصخرة الصماء في ظلمة الليل كما ورد في الحديث عليم يعلم ما توسوس به الانسان قبل ان يتكلم يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور - 00:17:23

ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد الاشارة الى ما فعله الله جل وعلا من هذا النصر والتعيين وعطف عليه بشارة اخرى عظيمة - 00:18:03

ما هي وان الله موهن كيد الكافرين ذلكم الذي فعله جل وعلا حق وواقع موقعة وابشروا ببشارة اخرى لا تظنوا ان النصر لكم في هذه المعركة فقط او في هذا اليوم فقط - 00:18:37

بل وعد منه جل وعلا بانه طموح ومظعف كيد الكافرين مكرهم وخداعهم للمؤمنين فدائما كلما كادوا كيدا او مكروا مكرا الله جل وعلا مبطله اذا كانت مقابلتهم مع من مع المؤمنين - 00:19:12

النصر الذي وعد الله به والخذلان الذي اوعد الله به لمن يكون اذا تقابل المؤمنون والكفار المؤمنون حقا الذين حققوا توحيد الله جل وعلا وحققوا المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم - 00:19:54

هؤلاء هم الموعودون بالنصر والتأييد اما اذا كان المؤمنون قد اقترفوا المعاصي ووقعوا فيها فقد لا ينصرهم جل وعلا تأديبا لهم كما وقع حينما عصوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم - 00:20:31

يوم احد حينما عصى بعض الصحابة رضي الله عنهم امر النبي صلى الله عليه وسلم الهزيمة عليهم بعد ان نصرهم الله اولا وغلب الكفار وانهزم الكفار عصا الرماة امر النبي صلى الله عليه وسلم - 00:21:09

فرجع عليهم الكفار وقتلوا منهم العدد الكثير من الصحابة رضوان الله عليهم تعذيبا للمؤمنين لان عليهم طاعة الله وطاعة رسوله فاذا اطاعوا الله واطاعوا الرسول فليبشروا بوعد الله من النصر والتأييد - 00:21:43

والى خالفوا امر الله وعصوا رسوله صلى الله عليه وسلم تخلف النصر في حكمة يريدها الله جل وعلا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى - 00:22:10

وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم وان الله موهن كيد الكافرين قال العماد ابن كثير رحمه الله يبين تعالى انه خالق افعال العباد وانه المحمود على جميع ما - 00:22:39

صدر منهم من خير لانه هو الذي وفقهم لذلك واعانهم عليه قول الامام ابن كثير رحمه الله نبين تعالى انه خالق افعال العباد. وهذا قول اهل السنة والجماعة ان العباد وافعالهم - 00:23:02

مخلوقون لله جل وعلا العبد يفعل وهو وفعله مخلوق لله جل وعلا والله جل وعلا وفق من شاء من عباده للعمل بطاعته فضلا منه واحسان وخذل من شاء من عباده - 00:23:24

الم يعمل الطاعة من عمل بالمعصية وهو لم يخرج عن ارادة الله جل وعلا الكونية القدرية ولا يوجد خالق او موجد في الوجود غير الله جل وعلا فهو الخالق لكل شيء - 00:23:56

خلافا في بعض الطوائف الضالة الذين يقولون ان العباد يخلقون افعالهم بدون ان يكون هناك ارادة من الله جل وعلا لهذا الفعل والخلق وهؤلاء القدرية صفات القدر والذين عبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم بانهم مجوس - 00:24:33

هذه الامة لان المجوس يثبتون خالقين تعالى الله فيقولون النور خالق الخير الظلمة خالق الشر وكذلك المعتزلة من هذه الامة يقولون ان العباد مستقلون لخلق افعالهم والله جل جل وعلا لا تأثير - 00:25:06

في خلق افعال العباد وانما العباد هم الذين يخلقون افعالهم وكأنهم تشبهوا بالمجوس الذين يثبتون خالقين تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ولهذا قال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم اي ليس بحولكم وقوتكم قتلتم اعدائكم مع كثرة عددهم وقلة عددكم - 00:25:41

اي بل هو الذي اظفركم عليهم كما قال ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة. الاية وقالت تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا - 00:26:14

وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين. فما كان النبي فما كان الصحابة رضوان الله عليهم والمقاتلون يا جماعة اكثر منهم من يوم حنين ومع ذلك ولوا الادبار. كثير من الصحابة انهزموا ولم يثبت الا النبي صلى الله عليه وسلم. وعدد قليل معه من - 00:26:34

ثم تراجعوا بعد ذلك وقد قال بعض الصحابة حال خروجهم الى حنين لن نهزم اليوم او لن نغلب اليوم من قلة يعني نحن عدد كثير فانهزموا لان النصر والغلبة ليس بالعدد والعدة ولكنه بتوفيق الله جل وعلا ونصره وتأييده - 00:26:59

يعلم تبارك وتعالى ان النصر ليس على كثرة العدد ولا بلبس اللامة والعدد اللحمة اللئمة التي تلبس تجعل على الرأس وقاية من السلاح وانما النصر من عنده تعالى كما قال تعالى - 00:27:26

كم من فئة العدد والعدد العدد عدد الجيش والعدد العدة عدت الجيش السلاح وانما النصر من عنده تعالى كما قال تعالى يعلم تبارك وتعالى ان النصر ليس على كثرة العدد ولا بلبس اللامة والعدد. وان - 00:27:47

وانما النصر من عنده تعالى كما قال تعالى والله مع الصابرين. ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ايضا في شأن القبضة من التراب التي حصدت التي حصد بها وجوه الكافرين يوم بدر حين خرج من العريش بعد دعائه وتضرعه واستكانته فرماهم بها وقال - 00:28:18

شاهت الوجوه الوجوه بمعنى قبحت ثم امر اصحابه ان يصدقوا الحملة اثرها يصدق يعني يعزم. نعم. ففعلوا فاوصل الله تلك الحصباء الى اعين المشركين فلم يبق احد منهم الا ناله منها ما شغله عن حاله ولهذا قال تعالى - 00:28:49

وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى. اي هو الذي بلغ ذلك اليهم وكبت وكبتهم بها لا انت قال علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه يعني يوم بدر فقال - 00:29:13

يا رب ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الارض ابدا. فقال له جبريل عليه السلام خذ قبضة من بها في وجوههم. فاخذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوههم. فما من فما من المشركين احد الا - 00:29:33

الا اصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة. فولوا مدبرين وقال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه يوم بدر اعطني حصباء من من الارض فناول - 00:29:53

انه حصباء عليه تراب فرمى به في وجوه القوم فلم يبق مشرك الا دخل في عينيه من ذلك التراب شيء ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وانزل الله فلم تقتلوه. عن محمد ابن قيس ومحمد ابن - 00:30:12

كعب القرظي قال لما دنا القوم بعظهم من بعظ اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبظة من التراب بعظهم من بعض المسلمون دنوا من الكفار. نعم. اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب - 00:30:31

من التراب فرمى بها في وجوه القوم وقال شاهت الوجوه فدخلت في اعينهم كلهم واقبل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلونهم ويأسرونهم. وكانت هزيمتهم في رمية رسول الله صلى الله عليه وسلم. فان - 00:30:51

انزل الله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى. وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى. قال هذا يوم بدر اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث حصبات فرمى بحصبات ميمنة - 00:31:11

القوم وحصبات في ميسرة القوم وحصبات بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا. وقد روي في هذا قد روي في هذه القصة عن عروة ومجاهد وعكرمة وقتادة وغير واحد من وغير واحد من الائمة ان - 00:31:31

وغير واحد من الائمة انها نزلت في رمية النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر. وان كان قد فعل ذلك يوم حنين ايضا وقال ابو جعفر ابن جرير حدثنا احمد ابن منصور حدثنا يعقوب ابن محمد حدثنا عبد العزيز ابن ابن عمران - 00:31:51

حدثنا موسى ابن يعقوب ابن عبد الله ابن ربيعة عن يزيد ابن عبد الله عن ابي بكر ابن سليمان ابن ابي خيثمة عن حكيم ابن حزام قال لما كان ابن حزام كان في جيش الكفار يوم بدر - 00:32:15

وقد اسلم رضي الله عنه وحسن اسلامه وهو الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم فاعطاه وسأله فاعطاه وسأله فاعطاه ثم قال له

النبي صلى الله عليه وسلم يا حكيم ان هذا المال حلوة خضرة فمن اخذه بسحاوة نفس - 00:32:30
بورك له فيه والا كان كالذي يأكل ولا يشبع او كما قال صلى الله عليه وسلم فاقسم حكيم رضي الله عنه بعد ذلك النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يرزع احدا بعده بمال - 00:32:51
يعني لا يقبل مال من احد وصدق رضي الله عنه فلما كان خلافة عمر او خلافة ابي بكر رضي الله عنه نادى نادى حكيم ليعطيه من بيت المال حقه ونصيبه فابى ان يقبله. ثم في خلافة عمر رضي الله عنه وهكذا - 00:33:07
ابى ان يأخذ شيئا حتى لقي ربه رضي الله عنه وارضاه وكلامه هذا رضي الله عنه الذي سمعه حينما كان في جيش الكفار في وقعة بدر قبل ان يسلم رضي الله عنه - 00:33:27
عن حكيم ابن حزام رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء كأنه صوت حصى صوت حصاة وقعت في طست ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية فانهزمنا قريب من هذا - 00:33:45
يقول وها هنا قولان سمعها الكفار ولم يسمعها المؤمنون لالقاء الرعب في قلوبهم يقول فانهزمنا بعد ما سمعنا هذه ورمى علينا النبي صلى الله عليه وسلم بهذا التراب انهزمنا وقال محمد ابن اسحاق حدثني محمد ابن جعفر ابن الزبير عن عروة ابن الزبير في قوله وليبلي المؤمنين منه بلاء - 00:34:05
اي ليعرف المؤمنين نعمته عليهم من ليعرف المؤمنين اي ليعرف المؤمنين نعمته عليهم من اظهار على عدوهم مع كثرة عدوهم وقلة عددهم ليعرفوا بذلك حقه ويشكروا بذلك نعمته وهكذا فسره ابن جرير - 00:34:34
وفي الحديث وكل بلاء وكل بلاء حسن ابلانا. يعني كل نعمة انعم بها علينا وكل بلاء حسن ابلانا. وقوله ان الله سميع عليم. اي سميع الدعاء عليم بمن يستحق النصر والغلب - 00:34:54
وقوله وذلكم ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين. هذه بشارة اخرى مع ما حصل من النصر انه واعلمهم تعالى بانه مظعف كيد الكافرين فيما يستقبل مصغر امرهم. وانهم وانهم كل ما لهم في تبأر ودمار ولله الحمد - 00:35:14